

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول : مفهوم السجع

أ. تعريف السجع

السجع في اللغة : الكلام المقفي، أو موالاة الكلام علي روي واحد، و جمعه أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، و سجع الحمام هو هديله و ترجيعه لصوته.^٦

وفي اصطلاح البلاغة : تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل علي حرف واحد أو علي حرفين متقارين أو حروف متقاربة. قوله تعالى : **وَالطُّورِ ۝١** **وَكَنْبِ مَسْطُورٍ ۝٢** في رَقٍ **مَنْشُورٍ ۝٣** **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤**.^٧ و قوله عز و جل : **وَالْعَدِيدِ صَبْحًا ۝٥** **فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ۝٦** **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٧**.^٨ و من التواطؤ علي حروف متقاربة قوله تعالى : **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ۝٩** **وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ۝١٠** **أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ الْاِلٰهًا وَّاحِدًا ۝١١** **هٰذَا لَشَىْءٌ عَجَابٌ ۝١٢** **وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءِالِهَتِكُمْ ۝١٣** **إِنَّ هٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝١٤** **مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمَلَأِ الْاٰخِرَةِ ۝١٥** **إِنَّ هٰذَا اِلَّا اٰخْتِلَافٌ ۝١٦**^٩

قال الشيخ عبد الرحمن محمر الأحضري " السجع هو توافق الفاصلتين في النشر على حرف واحد في الآخر، الفاصلة هي الكلمة التي في آخر الفقرة بمنزلة القافية في البيت".^{١٠}

^٦ الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، (القاهرة : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ٣، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ) ص ٢٨٩.

^٧ سورة الطور. الآية ١-٤.

^٨ سورة العاديات. الآية ١-٣.

^٩ سورة ص. الآية ٤-٧.

^{١٠} الشيخ عبد الرحمن بن محمر الأحضري، الجوهر المكنون، (قديري: مدرسة هداية المبتدئين بالمعهد الإسلامي ليربايا، مجهول السنة) ص. ١٢٦.

السجع طريقة في الإنشاء سارت مند القديم في النثر العربي و راحت كثيرا في عصور التنميق مع ما راج من محسنات بدعية. و هي تقوم على اتفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التقفية.^{١١}

ب. أنواع السجع

للسجع أنواع مختلفة بعضها يكون في النثر و الشعر، فأنواعه ثلاثة أقسام :

١. المتوازي: وهو ما اتفقت فيه الفاصلتين فقط وزنا و تقفية، كما قوله تعالى: فِيهَا

سُرٌّ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٢﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٣﴾، فَإِن ((مرفوعة)) و ((موضوعة)) متفتقتان وزنا^{١٣}

٢. المطرف: هو ما اختلف فاصلتاه في الوزن و اتفتتا في الحرف الأخير^{١٤}، نحو: مَا

لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٥﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٦﴾ و كقوله: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿١٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿١٨﴾

٣. المرصع: هو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من

الفقرة الأخرى وزنا و تقفية^{١٧}، كقوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَيْمٍ ﴿٢٠﴾ فالأبرار مثل الفجار، و نعيم مثل حميم، وزنا و تقفية..

^{١١} الدكتور إنعام فؤاد عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١م) ص. ٥٧٨.

^{١٢} سورة الغاشية. الآية ١٣-١٤.

^{١٣} الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع...، ص. ٢٩٢.

^{١٤} أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٩٩٣م) ص. ٣٦١.

^{١٥} سورة نوح. الآية ١٣-١٤.

^{١٦} سورة النبأ. الآية ٦-٧.

^{١٧} السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ-١٤٣٢هـ) ص. ٢٩٩.

^{١٨} سورة الإنفطار. الآية ١٣-١٤.

و مثله قوله سبحانه تعالى: **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۗ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ۗ**^{١٩} ، وقوله عز و جل: **الْقَارِعَةُ ۗ مَا الْقَارِعَةُ ۗ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۗ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۗ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۗ**^{٢٠} و قول أبي فراس الحمداني في الشعر:

و أفعلنا للزراغبين سيفه للمعتدي ورحيقُ خمرة سبيه للمعتفي^{٢١}

ج. شروط جمال السجع

لا يحسن السجع كل الحسن إلا اذا استوفى أربعة أشياء :

١. أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع.
٢. أن تكون الألفاظ خدم المعاني، إذا هي تابعة لها، فإذا رأيت السجع لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ، أو نقصان فيه، فاعلم أنه من المتكلف الممقوت.
٣. أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة.
٤. أن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى يغاير ما دلت عليه الأخرى حتى لا يكون السجع تكرارا بلا فائدة.

و متى استوفى هذه الشروط كان حلية ظاهرة في الكلام، و من ثم لا تجد لبلوغ كلاما يخلو منه كما لا تخلو منه سورة، و إن قصرت، بل ربما وقع في أوساط الآيات^{٢٢} ، كقوله تعالى: **أَوْلَمَ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَنَنْطَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۗ**^{٢٣}

^{١٩} سورة الغاشية. الآية ٢٥-٢٦.

^{٢٠} سورة العاديات. الآية ١-٥.

^{٢١} الدكتور سيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع...، ص. ٢٩٣.

^{٢٢} أحمد مصطفى المرغني، علوم البلاغة...، ص. ٣٦١.

^{٢٣} سورة الأعراف. الآية ١٠٠.

الأول. أحسن السجع ما تساوت قرائنه كقوله تعالى: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ^{٢٤}، ثم طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ^{٢٥} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ^{٢٦}، أو الثالثة، نحو قوله عز و جل: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ^{٢٧} الْجَحِيمِ صَلُّوهُ^{٢٨}، فلا يحسن أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيرا، لأن السجع إذا استوفى أمده في الأولى بطولها و جاءت الثانية أقصر منها كثيرا، يكون كالشيء المبتور، يؤيد ذلك الذوق السليم.

الثاني. الأسجاع مبنية على السكون أو آخرها، لأن المزوجة بين الفقرة في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف.

الثالث. يقال للجزء الواحد من السجع سجعة، و جمعها سجعات، و فقرة و جمعها فقر و فقرات و فقرات، و قرينة لمقارنة أختها، و تجمع على قرائن، و للحرف الأخير منها حرف الروي أو الفاصلة.

الرابع. ربما غيرت الكلمة عن موضوعها في تصريف اللغة طلبا للسجع و المزوجة بين الكلمة و أخواتها.

الخامس. يرى بعض العلماء و منهم الباقلاني و ابن الأثير كراهة إطلاق السجع على القرآن الكريم لأنه نوع من الكلام يعتمد الصنعة و قلما يخلو من التكلف و التعسف، إلى أنه مأخوذ من سجع الحمام، وهو هديره، و إنما يقال في مثل ذلك فواصل.

السادس. يرى بعضهم أن السجع غير مختص بالنثر، بل يكون في النظم، كقول أبي تمام يمدح أبا العباس نصر بن بسام:^{٢٩}
تجلى به رشدي وأثرت به يدي و فاض به ثمدي و أوري به زندي

^{٢٤} سورة النجم. الآية ١-٢.

^{٢٥} سورة الحاقة. الآية ٣٠-٣١.

^{٢٦} علوم البلاغة. ص ٣٦٢-٣٦٣.

- ذكر ابن الأثير شروطاً أربعة ينبغي تحققها حتى يكون السجع حسناً، فإذا فقدت أو فقد شرط منها لا يكون السجع حسناً، و تلك الشروط هي :
١. أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة لا غثة و لا باردة.
 ٢. أن تكون التركيب أيضاً صافية حسنة رائقة خالية من الغثاثة و ذلك أن المفردات قد تكون حسنة، و لكنها عند التركيب تفقد هذا الحسن، و لذا شرط في التركيب ما شرط في المفرد، و معنى الغثاثة و البرودة التي ينبغي أن تخلو منها الألفاظ و التركيب أن يهتم المتكلم بالسجع، و يهمل الألفاظ و التركيب فتأتي غثة باردة.
 ٣. أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى تابعا للفظ و إلا كان كظاهر مموه على باطن مشوه.
 ٤. أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، فإذا كان المعنى فيهما سواء هو التطويل بعينه.^{٢٧}

المبحث الثاني : سورة الأحزاب

أ. تسمية سورة الأحزاب

الأحزاب (هنا): الأمم الماضية التي تحزبت على الأنبياء. قبائل القريش و غطفان و غيرها، و هي جماعة المشركين الأعداء للمسلمين. و لقد أجلى رسول الله صلى الله عليه و سلم حبيي بن أخطب زعيم بني النضير اليهود مع قومه عن المدينة جزاء ما نكثوا من عهود و حثوا من أيمان. فقرر حبيي أن يحزب قومه و غير قومه من المطرودين و الأعداء على حرب النبي صلى الله عليه و سلم. فجمع بعس اليهود، و بغض بني وائل و قصد بهم قريشا و أغروهم بالقتال، و كذلك ذهبوا إلى غطفان، و كذلك قريظة التي كانت تسكن المسلمين في المدينة، و تعاهدتهم على عدم الحرب.

^{٢٧} الدكتور بسويبي عبد الفتاح فيود، علم البديع...، ص. ٢٩٠-٢٩١.

واتفقوا على حرب المسلمين، و لعبت الخدعة التي قام بها نعيم بن مسعود ملعبها بإذن الله، فتخاذل اليهود و العرب، و قذف الله الرعب في أفئدتهم. كانت الغزوة قد بدأت في شهر شوال من ٥ هـ. و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفر الخندق حول المدينة، وهو الذي أشار به سلمان الفارسي.^{٢٨}

سميت هذه السورة الشريفة ((سورة الأحزاب)) لاشتمالها على وقائع غزوة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة من مشركي قريش و غطفان بالتواطؤ مع المنافقين و يهود بني قريظة لحرب المسلمين،^{٢٩} و محاولة استتصالهم، كما سميت (الفاضحة) لأنها افترضت المنافقين، و أبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم في أزواجه و تأليهم عليه في تلك الموقعة.^{٣٠}

قال محمد علي الصابوني: سميت سورة الأحزاب لأن المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان و بني قريظة و أو باش العرب علي حرب المسلمين، و لكن الله رد هم مدحورين و كفي المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة.^{٣١}

ب. أسباب النزول

قال الألوس في تقديمه لسورة الأحزاب: (أخرج البيهقي في الدلائل و غيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: نزلت سورة الأحزاب بالمدينة، و أخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، و هي ثلاث و سبعون آية قال الطبرسي: بالإجماع، و قال الداني: هذا متفق عليه)... (ووجه اتصالها بما قبلها على ما قال الجلال السيوطي تشابه مطلع هذه و مقطع تلك، فإن تلك ختمت بأمر النبي صلى الله عليه و سلم بالإعراض

^{٢٨} الدكتور محمد التونجي، المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢. ٢٠١١) ص. ١٢٨.

^{٢٩} مجت عبد الواحد الشبخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، (دار دنديسر، ط ٨. مجهول السنة) ص. ٨١-٨٢.

^{٣٠} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير، (دمشق: دار الفكر، ط ٨، ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ) ص ٢٤٤.

^{٣١} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير...، ص. ٤٦٧.

عن الكافرين و انتظار عذابهم، و هذه بدئت بأمره عليه الصلاة و السلام بالتقوى و عدم طاعة الكافرين و المنافقين، و اتباع ما أوحى إليه، و التوكل عليه عز و جل).^{٣٢}
 قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾^{٣٣} أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أهل مكة، و منهم الوليد بن المغيرة، و شيبه بن ربيعة يدعو النبي صلى الله عليه و سلم أن يرجع عن قوله، على أن يعطوه شطر أموالهم، و خوفه المنافقون و اليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه، فنزلت الآيات.

و ذكر الواحدي في أسباب النزول: أن الآيات نزلت في أبي سفيان و عكرمة ابن أبي جهل و أبي الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا علي عبد الله بن أبي (زعيم المنافقين) و قد أعطاهم النبي صلى الله عليه و سلم الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح و طعمه بن أبيرق، فقالوا للنبي صلى الله عليه و سلم، و عنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آهتنا اللات و العزي و مناة، و قل: إن لها شفاعة و منفعة لمن عبدها و ندعك و ربك، فشق علي النبي صلى الله عليه و سلم قولهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: ((إني قد أعطيتكم الأمان)) فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله و غضبه، فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله عز و جل هذه الآية.^{٣٤}

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ﴾^{٣٥} نزلت في جميل بن معمر الفهري، و كان رجلا لبيبا حافظا لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا و له قلبان، و كان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. فلما

٣٢ سعيد حوى، الأساس في التفسير، المجلد الثامن، (دار السلام، ط ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) ص ٤٣٨.

٣٣ سورة الأحزاب. الآية ١-٣.

٣٤ الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير الميزان، ص ٢٤٧.

٣٥ سورة الأحزاب. الآية ٤.

كان يوم بدر و هزم المشركون و فيهم يومئذ جميل بن معمر، تاقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده الأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: قد انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك و الأخرى في رجلك، قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، و عرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعليه في يده. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. نزلت في زيد بن حارثة كان عبداً لرسول الله صلى الله عليه و سلم فأعتقه و تبناه قبل الوحي، فلما تزوج النبي صلى الله عليه و سلم زينب بنت جحش، و كانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود و المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهي الناس عنها، فأنزل الله هذه الآية.^{٣٦}

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^{٣٧} الآية. أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأ أحمد بن عبد الله النعمي، أنبأ محمد بن يوسف، أنبأ محمد بن إسماعيل، أنبأ معلي بن أسد، أنبأ عبد العزيز بن المختار، أنبأ موسى بن عقبة، حدثني سالم، عن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ما كنا ندعو إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم) يعني: فهم إخوانكم (في الدين و مواليتكم) إن كانوا محرورين و ليسوا ببنيتكم، أي: سموهم بأسماء إخوانكم في الدين و قيل: مواليتكم أي أولياؤكم في الدين (و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) قيل النهي، فنسبتموه إلى غير أبيه (و لكن ما تعمدت قلوبكم) من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي، و قال قتادة فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه، و هو يظن أنه كذلك و محل ((ما)) في قوله تعالى: (ما تعمدت) خفض ردا علي ما التي في قوله، فيما أخطأتم به، مجازة: ولكن فيما تعمدت قلوبكم (و كان الله غفورا رحيمًا).^{٣٨}

^{٣٦} أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، (ط ١، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ) ص ٢٥١.

^{٣٧} سورة الأحزاب. الآية ٥.

^{٣٨} أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، معالم التنزيل في التفسير والتأويل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ص ٤٣٢.

أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن: (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله).^{٣٩}
 قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾^{٤٠} الآية. قال ابن عباس، و
 عطاء يعني: إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم و دعتهم أنفسهم إلى شيء كانت
 طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعتهم أنفسهم، قال بن زيد : (النبي
 أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فيما قضي فيهم، كما أنت أولى بعبدك فيما قضيت عليهن
 و قيل : هو أولى بهم في الحمل على الجهاد و بذل النفسى دونه، و قيل: كان النبي
 صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد، فيقول قوم: نذهب فنستأذن من آباءنا و أمهاتنا،
 فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾^{٤١}

على الوفاء بما عملوا و أن يصدق بعضهم بعضا، و يبشر بعضهم ببعض، قال مقاتل:
 أخذ ميثاقهم على أن يعبد الله و يدعوا إلى عبادة الله، و يصدق بعضهم بعضا، و
 ينصحوا لقومهم (و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم) خص هؤلاء
 الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب و الشرائع و أولو العزم من الرسل
 و قدم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر لما أخبرنا أحمد ابراهيم الشريحي، أنبأ أبو
 إسحاق الثعلبي، اخبرني الحسين ابن محمد الحديثي، أنبأ عبد الله بن أحمد بن يعقوب
 المقرئ، أنبأ محمد بن محمد بن سليمان الساعدي، أنبأ هارون بن محمد بن بكار بن
 بلال، أنبأنا أبي سعيد، يعني: ابن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي حريرة قال: إن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كنت أول النبيين ميثاقهم و منك و من نوح))

^{٣٩} أحمد عبد الشافي، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة) ص ١٥٦.

^{٤٠} سورة الأحزاب. الآية ٦.

^{٤١} سورة الأحزاب. الآية ٧-٨.

فبدأ صلى الله عليه و سلم قبلهم (و أخذنا منهم ميثاقا غليظا) عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني: النبیین عن تبليغهم الرسالة و الحكمة في سؤالهم مع علمه أنهم صادقون تكبیت من أرسلوا إليهم، و قيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم فب قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤٢﴾

عن حذيفة، قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب و نحن صافون قعود و أبو سفيان و من معه من الأحزاب فوقنا، و قريظة اليهود أسفل منا، نخافهم على ذرارينا، و ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة و لا أشد ريحا منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق و هي ظلمة ما يري أحد منا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله صلى الله عليه و سلم و يقولون: غن بيوتنا عورة وهي خارجة من المدينة إيذن لنا فنرجع إلى نسائنا و أبنائنا فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون و نحن ثلاثمائة أو نحو ذلك إذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا رجلا حتى مر عليّ و ما عليّ جنة من العدو و لا من البرد إلا مرط لامرئي ما يجاوز ركبتي، فأتاني و أنا جاث على ركبتي فقال: ((من هذا؟)) فقلت حذيفة، قال ((حذيفة)) فتقاصرت إلى الأرض فقلت بلى يارسول الله كراهية أن أقوم، قال: ((قم)) فقممت فقال: ((اذهب فأتني بخبر القوم)) قال و أنا من أشد القوم فرعا و أشد قرّا فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوقه و من تحته)) قال: فوالله ما خلق الله فرعا و لا قرّا في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد منه شيئا، فلما وليت قال: ((يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني)) فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد و إذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار و يمسح خاصرته و

يقول: الرحيل الرحيل، ثم دخلت العسكر فإذا أدني الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل الرحيل الرحيل لا مقام لكم و إذا ریح في عسكر ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله لأسمع صوت الحجارة في رحالهم و فروشهم، الریح تضربهم بها، و هم يقولون: الرحيل الرحيل ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه و سلم فلما انتصت الطريق إذ أنا بنحو من عشرين فارسا معتمدين فقالوا أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته خبر القوم أني تركهم يترحلون، و أنزل الله الآية (أخرج ابن كثير).^{٤٣}

﴿وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾^{٤٤}: أخرج ابن أبي حاتم و البيهقي في الدلائل عن عمرو المزني قال: خط رسول الله صلى الله عليه و سلم الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم المعول، فضربها ضربة، صدعها، و برق منها برق أضاء ما بين لا بيتي المدينة فكبر و كبر المسلمون، ثم ضربها الثانية فصدعها و برق منها برق أضاء ما بين لا بيتها، فكبر و كبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرهما و برق منها برق أضاء ما بين لا بيتها، فكبر و كبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: ضربت الأولى، فأضاءت لي قصور الحيرة و مدائن كسري و أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم، ثم ضربت الثانية، فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم و أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فأضاءت لي قصور صنعاء و أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ و يحدثكم، يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة و مدائن كسري، و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق أو الخوف لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل الآية: ﴿وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

^{٤٣} عبد الفتاح عبد الغني القاضي، أسباب النزول عن الصحابة و المفسرين، (القاهرة: دار السلام، ط ٣، ٢٠٠٧-١٤٢٧هـ) ص ١٨١.

^{٤٤} سورة الأحزاب. الآية ١٢.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾^{٤٥} أخرج مسلم و الترمذي و غير هما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر عن بدر، فكبر عليه، فقال: أول مشهد قد شهدته رسول الله صلى الله عليه و سلم غبت عنه، لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع و ثمانون بين ضربة و طعنة و رمية، ونزلت هذه الآية: (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ).^{٤٦}

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾. نزلت في طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((اللهم أوجب لطلحة الجنة)). أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله التميمي قال: أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن نصر الرازي قال: أخبرنا العباس بن إسماعيل الرقي قال: أخبرنا إسماعيل بن يحيى البغدادي، عن أبي سنان عن الضحاك، عن النزال بن سيرة، عن علي قال: قالوا: أخبرنا عن طلحة فقال: ذلك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ طلحة ممن قضى نجة لا حساب عليه فيما يسقبل.^{٤٧}

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ﴾^{٤٨} الآية. أخرج مسلم و أحمد و النسائي من طريق أبي زبير عن جابر قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لهما فدخلوا و النبي صلى الله عليه و سلم جالس و حوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي صلى الله عليه و سلم لعله يضحك، فقال عمر يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة أنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه و سلم حتى بدا ناجذه، و قال هنّ حولي يسألني النفقة، فقام أبو بكر غلى عائشة ليضربها و قام عمر إلى حفصة،

^{٤٥} سورة الأحزاب. الآية ٢٣.

^{٤٦} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير... ص ٢٨٦-٢٨٧.

^{٤٧} أحمد الواحدي البيسابوري، أسباب النزول... ص ٢٥٢-٢٥٣.

^{٤٨} سورة الأحزاب. الآية ٢٨.

كلاهما يقولان: تسألان النبي صلى الله عليه و سلم ما ليس عنده، و أنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: إني ذاك لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. قالت: ما هو؟ فتلا عليها: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤُوسَ لَهَا﴾ الآية. قالت عائشة: أفيك أستأمري أبوي، بل أختار الله و رسوله.^{٤٩}

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^{٥٠} الآية. أخبرنا أبو بكر الحارثي، قال: أخبرنا أبو محمد بن حيان، قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، قال: حدثنا أبو الربيع الزَّهْرَانِي، قال: حدثنا عمار بن محمد عن الثوري، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الجحاف، عن عطية، عن أبي سعيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: نزلت في خمسة: في النبي صلى الله عليه و سلم و علي و فاطمة و الحسين و رضوان الله عليهم السلام.^{٥١}

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عفان قال: أخبرنا أبو يحيى الحماني، عن صالح بن موسي القرشي، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أنزل هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه و سلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^{٥٢}.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^{٥٣} الآية. قال مقاتل بن حيان: بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي حيبة و خسار، قال: ((ومم ذلك؟))، قالت: لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال،

^{٤٩} أحمد عبد الشافي، لباب النقول في أسباب النزول...، ص ١٥٨.

^{٥٠} سورة الأحزاب. الآية ٣٣.

^{٥١} أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط ٤، ٢٠٠٩م). ص ٣٦٨.

^{٥٢} أحمد الواحدي البيسابوري، أسباب النزول...، ص ٢٥٤.

^{٥٣} سورة الأحزاب. الآية ٣٥.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى آخرها.^{٥٤} و أخرج الإمام أحمد و النسائي و ابن جرير عن عبد الرحمن بن شيبه قال: سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه و سلم تقول: قلت للنبي صلى الله عليه و سلم: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا و نداؤه على المنبر، قالت: و أنا أسرح شعري، فلفقت شعري، ثم خرجت إلى حجرتي - حجرة بيتي - فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند المنبر: ((يا أيها الناس، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾)) إلى آخر الآية.^{٥٥}

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾^{٥٦} أنها نزلت في زينب جحش خطبها رسول الله صلى الله عليه و سلم لزيد بن حارثة فامتنعت و امتنع أخوها عبد الله بن جحش و أنهما و لدا عمه رسول الله صلى الله عليه و سلم أمهما أميمة بنت عبد المطلب و أن زيدا كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت: أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به، قاله ابن عباس و مجاهدة و قتادة. قال مقاتل: ساق إليها عشرة دنائير و ستين درهما و خمارة و ملحفة و درعاً و خمسين مداً من طعام و عشرة أمداد من تمر.^{٥٧}

﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾^{٥٨}: أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش و زيد بن حارثة، و أخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من زينب بنت جحش، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أمسك عليك أهلك، فنزلت: ﴿وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

^{٥٤} أحمد الواحدي البيسابوري، أسباب النزول...، ص ٢٥٤.

^{٥٥} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير...، ص ٣٣٨-٣٣٩.

^{٥٦} سورة الأحزاب. الآية ٣٦.

^{٥٧} أبي الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي، النكت و العيون تفسیر الماوردي، الجز الرابع، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة). ص ٤٠٤.

^{٥٨} سورة الأحزاب. الآية ٣٧.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ﴾^{٥٩}: أخرج الترميذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي صلى الله عليه و سلم بزینب قالوا: تزوج حلیلة ابنه، فأُنزل الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية. ٦٠

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾^{٦١}: أخرج عبد عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^{٦٢} قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{٦٣} الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة و الحسن البصري قالوا: لما نزلت ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾^{٦٤} قال رجال من المؤمنين: هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأُنزل الله: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ الآية، و أنزل في سورة الأحزاب: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾^{٦٥}

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾^{٦٦}: أخرج الترميذي و حسنه و الحاكم و صححه عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاعتذرت إليه، فعذرني، فأُنزل الله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّتِي هَا جَرْنَ مَعَكَ﴾ فلم أكن أحل له، لأني لم أهاجر.

أخرج ابن أبي حاتم عن أم هانئ قالت: نزلت في هذه الآية: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَا جَرْنَ مَعَكَ﴾. أراد النبي صلى الله عليه و سلم أن يتزوجني، فنهى عني، إذ لم أهاجر.

^{٥٩} سورة الأحزاب. الآية ٤٠.

^{٦٠} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير... ص ٣٥٠.

^{٦١} سورة الأحزاب. الآية ٤٣.

^{٦٢} سورة الأحزاب. الآية ٥٦.

^{٦٣} سورة الأحزاب. الآية ٤٧.

^{٦٤} سورة الفتح. الآية ٢.

^{٦٥} أحمد عبد الشافي، كليات النقول في أسباب النزول... ص ١٦٠.

^{٦٦} سورة الأحزاب. الآية ٥٠.

و قوله تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً﴾ أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً﴾ الآية قال: نزلت في أم شريك الدوسية. و أخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي صلى الله عليه و سلم، و كانت جميلة، فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسامها الله مؤمنة، فقال: ﴿وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هোক.^{٦٧}

قوله تعالى: ﴿تُرْجَىٰ مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾^{٦٨} الآية. قال المفسرين نزلت حين غار بعض نساء النبي صلى الله عليه و سلم و آذينه بالغيرة و طلبن زيادة النفقة، فهرهن رسول الله صلى الله عليه و سلم شهرا حتى نزلت آية التخيير، و أمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا و الآخرة، و أن يخلى سبيل من اختارت الدنيا و يمسك منهن من اختارت الله سبحانه و رسوله، على أنهن أمهات المؤمنين، ولا ينكحن أبداً، و على أن يؤوي إليه من يشاء و يرجي منهن إليه من يشاء، فيرضين به، قسم لهنّ أو لم يقسيم، أو فضل بعضهن على بعض بالنفقة و القسمة و العشرة، و يكون الأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء، فرضين بذلك كله، فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم مع ما جعل الله تعالى له من التوسعة يسوي بينهن في القسمة.^{٦٩}

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾^{٧٠}. أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خير رسول الله صلى الله عليه و سلم أزواجه فاخترن الله و رسوله، فانزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾^{٧١}. و هذا ما ذكره غير واحد من العلماء كابن عباس و مجاهد و الضحاك و قتادة و ابن زيد و ابن جرير و غيرهم: أن هذه الآية نزلت مجازة لأزواج النبي صلى الله عليه و سلم و رضا عنهن على حسن صنعهن فب

^{٦٧} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير... ص ٣٨٦.

^{٦٨} سورة الأحزاب الآية ٥١.

^{٦٩} أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي، أسباب نزول القرآن... ص ٣٧١.

^{٧٠} سورة الأحزاب. الآية ٥٢.

^{٧١} أحمد عبد الشافي، لياق النقول في أسباب النزول... ص ١٦١.

اختيارهن الله ورسوله و الدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما تقدم في الآية.^{٧٢}

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾^{٧٣} الآية. قال أكثر المفسرين: لما بني رسول الله صلى الله عليه و سلم بزَيْنَب بنت جحش أولم عليها بتمر و سويق و ذبح شاة، قال أنس: و بعثت إليه أمي أم سليم بجيش في تور من حجارة، فأمرني النبي صلى الله عليه و سلم أن أدعو أصحابه غلي الطعام فدعوتهم، فجعل القوم يجيئون فيأكلون فيخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون و يخرجون، فقلت: يا بني الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: "ارفعوا طعامكم" فرفعوا، فخرج القوم و بقي ثلاثة أنفار يتحدثون فب البيت: فأطالوا المكث، و تأدي منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان شديد الحياء، فنزلت هذه الآية، و ضرب رسول الله صلى الله عليه و سلم بيني و بينه سترًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^{٧٤}. أخبرنا أبو سعيد عن ابن أبي عمرو النيسابوري قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المخلدي قال: أخبرنا المؤمن بن الحسن بن عيسى قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا أبو حذيفة قال: أخبرنا سفيان، عن زبير بن عدى، عن عبد الرحمن بن ابي ليلي، عن كعب بن عجرة قال: قيل للنبي صلى الله عليه و سلم: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^{٧٥}.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ﴾^{٧٦}. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية قال: نزلت في الذين طعنوا النبي صلى الله عليه و سلم حين اتخذ صفية بنت حيي زوجة له. و قال جوير عن الضحاك عن ابن عباس:

^{٧٢} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير... ص ٣٨٧.

^{٧٣} سورة الأحزاب. الآية ٥٣.

^{٧٤} سورة الأحزاب. الآية ٥٦.

^{٧٥} أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول... ص ٢٥٦-٢٥٨.

^{٧٦} سورة الأحزاب. الآية ٥٧.

أنزلت في عبد الله بن أبي و ناس معه قذفوا عائشة. فخطب النبي صلى الله عليه و سلم و قال: ((من يعذرني من رجل يؤذيني و يجمع في بيته من يؤذيني))، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي و ناس معه قذفوا عائشة رضي الله عنها، فخطب النبي صلى الله عليه و سلم و قال: ((من يعذرني من رجل يؤذيني و يجمع في بيته من يؤذيني)).^{٧٧}

عن السدي أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها و قالوا: هذه حرّة و إذا رأوها بغير قناع قالوا: أمة فأذوها فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ الآية.^{٧٨}

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^{٧٩} قال الضحاك و السدي و الكلبي: نزلت في الزيادة الذين

كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإذا سكتت اتبعوها، و إن زجرتهم انتهوا عنها، و لم يكونوا يطلبون إلا الإماء، و لكن لم يكن يومئذ تعرف الحرّة من الأمة إنما يخرجن في درع الحمار ، فشكون ذلك ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.^{٨٠}

أخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي صلى الله عليه و سلم يخرجن بالليل لحاجتهن، و كان ناس من المنافقين يتعرضون لهن، فيؤذين، فشكوا ذلك، فقيل للمنافقين، فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية:^{٨١} ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ

^{٧٧} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير...ص. ٤١٩-٤٢٠.

^{٧٨} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير...ص. ٥٣٤.

^{٧٩} سورة الأحزاب. الآية ٥٨.

^{٨٠} أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول...ص ٢٥٩.

^{٨١} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير...ص. ٤٣١.

لَّا زَوْجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٨٢﴾

ج. مضمون سورة الأحزاب

هذه السورة قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة، في فترة تمتد من بعد غزوة الكبرى ألى ما قبل صلح الحديبية، و تصور هذه من حياة المسلمين في المدينة تصويراً واقعياً مباشراً. و هي مزدحمة بالأحداث التي تشير إليها خلال هذه الفترة و التنظيمات التي أنشأتها أو أقرتها في المجتمع الإسائى الناشئ. و التوجيهات و التعقيبات على هذه الأحداث و التنظيمات قليلة نسبياً، ولا تشغل من جسم السورة إلا حيزاً محدوداً، يربط الأحداث التنظيمات بالأصل الكبير.^{٨٢}

اشتملت هذه السورة على بعض الآداب الاجتماعية، و الأحكام التشريعية و أخبار في السيرة عن غزوتي الأحزاب و بني قريظة و عن المنافقين.

● أما الآداب الاجتماعية: فأهمها آداب الدعوة إلى الولايم، و الحجاب و عدم التبرج، و تعظيم النبي صلى الله عليه و سلم في بيته و مع الناس، و القول السديد.

● و أما الأحكام الشرعية فكثيرة: منها الأمر بتقوى الله و عدم طاعة الكافرين و المنافقين، و وجوب اتباع الوحي، و حكم الظهار، و حكم عادة التبي و عادة التورث بالحلف أو الحجر، و جعل الرحم و القرابة أساس الميراث، و تعداد المحارم و عدد زوجات النبي صلى الله عليه و سلم، و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و فرض الحجاب الشرعي و تطهير المجتمع من مظاهر التبرج في الجاهلية، و عدم إلزام المطلقة قبل الدخول بالعدة، و تخيير نساء النبي صلى الله عليه و سلم

^{٨٢} سورة الأحزاب. الآية ٥٩.

^{٨٣} سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، (دار المشروق، مجهول السنة) ص. ٢٨١٧.

بين الفراق و البقاء معه، و تخصيص زوجاته بمضاعفة الأجر و الثواب عند الطاعة، و مضاعفة العذاب عند المعصية، و تحريم إيذاء الله و الرسول صلى الله عليه و سلم و المؤمنين، و خطورة أمانة التكليف، و عقاب المسيء و إثابة المحسن.

● و أما أخبار السيرة: ففي السورة بيان توضيحي عن (غزوة الأحزاب) أو (غزوة الخندق) و غزوة بني قريظة، و نقضهم العهد مع النبي صلى الله عليه و سلم، و كشف فضائح المنافقين و التحذير من مكائدهم، و تهديدهم مع المرجفين في المدينة على جرائمهم بالطرده و التعذيب، و تذكير المؤمنين بنعم الله العظيم التي أنعم بها عليهم في وقعة الخندق بعد اشتداد الخطب عليهم، و رد كيد أعدائهم بالملائكة و الريح، حتي صار ذلك معجزة خارقة للعادة، و بيان قصة زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه و سلم، و زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه و سلم.^{٨٤}

و يمكن أن نلخص المواضع الكبرى لهذه السورة الكريمة في نقاط ثلاثة:

أولاً: التوجيهات و الآداب الإسلامية.

و قد جاء الحديث عن بعض الآداب الاجتماعية كآداب الوليمة، و آداب الستر و الحجاب، و عدم التبرج، و آداب معاملة الرسول الله صلى الله عليه و سلم و احترامه إلى آخر ما هنا لك من آداب اجتماعية. و ذلك مشتمل في الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ ۗ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۗ

^{٨٤} الدكتور وهبة الزحيلي، التفسير المنير... ص. ٢٤٥.

ذَلِكُمْ أَطَهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِمْ^{٨٥} وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٨٥﴾

ثانياً: الأحكام و التشريعات الإلهية.

فقد جاء الحديث عنها في بعض الأحكام التشريعية مثل حكم الظهار و التبني،
و الإرث، و زواج مطلقة الابن من التبني، و تعدد زوجات الرسول الطاهرات و الحكمة
منه، و حكم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و حكم الحجاب الشرعي،
و الأحكام المتعلقة بأمور الدعوة إلى الولييمة إلى غير ما هنالك من أحكام تشريعية.

ثالثاً: الحديث عن غزوة ((الأحزاب، و بني قريظة)).

تحدثت في هذه السورة بالتنفصيل عن غزوة الخندق التي تسمى غزوة الأحزاب،^{٨٦}
وتلك موافق الكفار و المنافقين و اليهود، و دسائسهم في و سط الجماعة المسلمة في
المدينة، و ما وقع من خلخلة و أذى بسبب هذه الدسائس و تلك المواقف.^{٨٧} وذلك
مشتمل في الآية:

﴿حَسْبُكَ الْأَحْزَابُ لَمْ يَذْهَبُوا^{٨٥} وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ
عَنْ أَنْبَاءِكُمْ^{٨٦} وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ
كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٨٦﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^{٨٧} وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٨٧﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا
عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^{٨٨} فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ^{٨٩} وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ^{٩٠} وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٨٨﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ^{٩١} إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ^{٩٢} إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٨٩﴾
وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا^{٩٣} وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ^{٩٤} وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٩٠﴾
وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

^{٨٥} سورة الأحزاب. الآية ٥٣.

^{٨٦} محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير... ص ٤٦٧.

^{٨٧} سيد قطب، في ظلال القرآن... ص ٢٨١٨.

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿١١﴾ وَأَوْزَحْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدَيَّرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْفُوهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١٢﴾

د. خصائص سورة الأحزاب

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة الأحزاب و علمها أهله و ما ملكت يمينه، أعطى الأمان من عذاب القبر. و روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب، كان يوم القيامة في جوار محمد، و آله و أزواجه.^{٨٨}

^{٨٨} الإمام السعيد أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي، مجموع البيان، (القاهرة: دار التريب، ١٣٥٩ هـ - ١٩٧٥ م) ص ١٤٦.